قطوف من السيرة النبوية ﷺ وتطبيقاتها في حياتنا المعاصرة

غلام محمد قمر الازہری☆

Abstract:

" The search has dealt with the subject "Some extracts from the Prophetic biography and its applications in our contemporary life."
I have clarified in it that the Prophetic biography is a lamp for anyone who wants light in life and the hereafter anytime and anywhere. This comes after a brief statement about the importance of the biography in which I clarified the meaning of the word "biography" lexically and terminologically, the concept and the characteristics of the word "the Prophetic biography", its applications in the field of the Islamic call today, its stages and that it's the source of the legitimate sciences. I also discussed the social applications of the Prophetic biography in our contemporary life and how to face and the social and economic problems and solve them using wise practical ways seeking guidance from the biography of the Prophet, Peace be upon him."

مقدمة

الحمد لله الذي أرسل رسوله بالهدى ودين الحق؛ ليظهره على الدين كله، وكفى بالله شهيداً، والصلاة والسلام على أشرف المرسلين ورحمة الله للعالمين سيدنا وحبيبنا ونبينا محمد ﷺ الذي جعل الله حياته الطيبة وسيرته المطهرة أسوة حسنة.. ونورا. للإنسانية كلها, في كل زمان ومكان, وطريقا لحل مشكلاتها السياسية والتعليمية والاجتماعية والاقتصادية والصحية، وغيرها.

☆ جامعه الازہر مصر

فسيرته ﷺ لا تخلو من خُلقٍ كريم، أوأدب رفيع، بلغ فيهذروة الكمال البشري، حتى في المواقف التي يصعب فيها تصوّر الأخلاق كعاملٍ مؤثّرٍ؛ كأمور الحرب والسياسة، والتعامل مع الظالمين والفاسقين والأعداء وكذلك في تواضعه، وقيادته، وإعطائه الحقوق لأصحابها، وفي حلّهِ للمشكلات التي يواجهها الانسان في حياته.

لذلك معرفة سيرة النبي ﷺ يجب على كل مسلم، كما أن معرفة سنة النبي القولية يجب على كل مسلم، الدليل هي قوله تعالى: وَمَآ ءَاتَىٰكُمُ ٱلرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَىٰكُمۡ عَنۡهُ فَٱنتَهُواْۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۖ إِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ [الحشر، آية ٧].

وقال سبحانه وتعالى: لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ وَٱلۡيَوۡمَ ٱلۡأٓخِرَ [الأحزاب، آية: ٢١]. بل وحَذّر الله من مخالفته، فقال عز من قائل: فَلۡيَحۡذَرِ ٱلَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنۡ أَمۡرِهِۦٓ أَن تُصِيبَهُمۡ فِتۡنَةٌ أَوۡ يُصِيبَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ٦٣ [النور، آية: ٦٣].

وقال النبي ﷺ: ((من أحدث في أمرنا هذا ما ليس منه فهو ردّ)).(١)

وقد اشتملت سيرته ﷺ على أقواله وأفعاله وتقريراته، فهي التجسيد الحيّ لتعاليم الإسلام، والصورة المشرقة لأخلاقه ومعاملاته صلى الله عليه وسلم.

ونحن الآن في حاجة ملحّة للعودة إلى كتاب الله وسنة رسوله ﷺ وسيرته ﷺ الطيبة، فالكثير من أمور الدين والدنيا، لا تعرف إلا من خلال دراسة السيرة النبوية دراسة واعية متأنية، لتطبيقها في حياتنا اليومية، فهي النبراس لكل من أراد النور في الدنيا والآخرة في كل زمان ومكان.

السيرة لغة واصطلاحاً

السيرة لغة: السُنَّة، والطريقة، يُقال: سار بهم سيرة حسنةً.(٢)

واصطلاحاً: هي الترجمة المأثورة لحياة النبي ﷺ.(٣) أو هي: ما أثر عن النبي ﷺ من قول أو فعل أو تقرير أو صفة خَلْقية أو خُلُقية سواء كان قبل البعثة منذ ولادته ﷺ أو بعدها.(٤)

فإذا قيل "السيرة النبوية" فإنما يراد بها سيرة نبي الله ورسوله محمد ﷺ بن عبدالله ، والتي تشتمل على ذكر أدق التفاصيل عن حياته ﷺ في المرحلة المكية والمدنية، وعلى هذا دَرَج المؤلفون عن حياة النبي ﷺ بتسمية مؤلفاتهم بالسيرة النبوية.(٥)

مميزات السيرة النبوية

تمتاز السيرة النبوية بخصائص كثيرة لا يمكن حصرها من أهمها:

- كون السيرة ربانية المصدر، بمعنى أنّ صاحبها وهو نبينا محمد مرسل من ربه إلى جميع الناس قُل يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ إِنِّي رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيكُم جَمِيعًا ويتلقى تعاليمه من الله سبحانه وتعالى: وَمَا يَنطِقُ عَنِ الهَوَىٰٓ إِن هُوَ إِلَّا وَحي يُوحَىٰ [النجم: ۳، ۴]،

وهذه الميزة وإن كان يشاركه الأنبياءوالرسل في بعضها إلا أن نبينا انفرد وتميزبكونه ﷺ مرسلاً إلى البشرية كلها،فأوامره ﷺ ونواهيه ﷺ ملزمة للناس جميعاً.

- ثبوت السيرة وصحة ما جاء فيها: فقد أورد القرآن الكريم صوراً من سيرة النبي على سبيل الإجمال، فأشار إلى نشأته ﷺ فقال تعالى: أَلَم يَجِدكَ يَتِيما فأوى ٦ وَوَجَدَكَ ضَآلّا فَهَدَىٰ ۷ وَوَجَدَكَ عَآئِلا فَأَغنَىٰ ۸ [الضحى: ٦ـ ٨]، ثم أشار إلى نزول الوحي عليه، فقال تعالى: ٱقرَأ بِٱسمِ رَبِّكَ ٱلَّذِي خَلَقَ ١ خَلَقَ ٱلإِنسَٰنَ مِن عَلَقٍ ٢ ٱقرَأ وَرَبُّكَ ٱلأَكرَمُ ٣ ٱلَّذِي عَلَّمَ بِٱلقَلَمِ ٤ عَلَّمَ ٱلإِنسَٰنَ مَا لَم يَعلَم ٥ [العلق: ۱ـ ۵].

وإلى بداية دعوته، فقال تعالى: وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ ٱلأَقرَبِينَ ٢٤ [الشعراء: ۲۱۴]، ثم إلى بعض أخلاقه وشمائله، فقال تعالى: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيم ٤ [القلم: ۴]، وقال سبحانه: فَبِمَا رَحمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُم وَلَو كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلقَلبِ لَٱنفَضُّوا مِن حَولِكَ فَٱعفُ عَنهُم وَٱستَغفِر لَهُم وَشَاوِرهُم فِي ٱلأَمرِ فَإِذَا عَزَمتَ فَتَوَكَّل عَلَى ٱللَّهِ إِنَّ ٱللَّهَ يُحِبُّ ٱلمُتَوَكِّلِينَ ٩ [آل عمران: ۱۵۹]، وأشار كذلك إلى هجرته ﷺ ومعاملاته ﷺ وجهاده ﷺ وغزواته ﷺ.

فالقرآن الكريم مليء بمثل هذه الإشارات المقتضبة، وعلى هذا فالقرآن الكريم يعدُّ المصدر الأول لسيرة النبي ﷺ، وكفاك به صدقاً وعدلاً لَّا يَأتِيهِ ٱلبَٰطِلُ مِن بَينِ يَدَيهِ وَلَا مِن خَلفِهِ تَنزِيل مِّن حَكِيمٍ حَمِيد ٤٢ [فصلت: ۴۲].

كما أنّ كتب السنة قد نقلت لنا معظم سيرة الرسول ﷺ وبأصح ما جاء فيها، حيث أورد البخاري ومسلم في صحيحيهما جملة كبيرة من السيرة النبوية، وكذا بقية كتب السنة.

- شمولية السيرة وكمالها: فلا تكاد تجد سيرة لنبي من أنبياء الله السابقين وصفت وصفاً دقيقاً ابتداء من ولادته حتى وفاته وبقيت بعده، فضلاً عن غيرهم من البشر، لكن سيرة نبينا ﷺ - شملت جميع مراحل حياته ﷺ، بل وقبل ولادته ﷺ حتى لحوقه ﷺ بالرفيق الاعلى، بل وفي بعض أحداثها ذكر اليوم والشهر والسنة، وشاملة لجميع مناحي الحياة الإنسانية، فتجد فيها الوسطية،والعدل والمساواة

والحرية، والرفق بالإنسان والحيوان وغير ذلك.

- وسطيتها ويسرها: فدين الإسلام عموماً جاء بالوسطية وَكَذَٰلِكَ جَعَلۡنَٰكُمۡ أُمَّةٗ وَسَطٗا لِّتَكُونُواْ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيۡكُمۡ شَهِيدٗا [البقرة: ۱۴۳].

وهذه الوسطية واليسر لا يمكن معرفتهما إلا بأقوال الرسول ﷺ وأفعاله ﷺ وهي السيرة النبوية المشرفة.

وقال ﷺ: ((يسروا ولا تعسروا، بشروا ولا تنفروا)).(۶)

وقال ﷺ لمعاذ عندما بلغه ﷺ إطالة صلاته بالناس: ((يا معاذ أفتّان أنت، أو أفاتن أنت؟ ثلاث مرات، فلولا صليت بسبح اسم ربك الأعلى، والشمس وضحاها، والليل إذا يغشى)).(۷) إلى غير ذلك من خصائص السيرة النبوية.

تطبيقات السيرة النبوية في عصرنا الحاضر

أولا: في مجال الدعوة وفيه أمران:

الأمر الأول: المراحل الدعوية

السيرة النبوية لب الإسلام وروحه، وتجسيداً حيًّا لجميع تعاليم الإسلام، فلا يستغني عن النظر فيها أي عالم أو طالب علم، في أي زمان، فهي دوحة عظيمة فيها كل الثمار اليانعة، كلٌّ يقطف منها ما يناسبه، وكيف لا تكون كذلك وهي ربانية المصدر يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ قَدۡ جَآءَكُم بُرۡهَٰنٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكُمۡ نُورٗا مُّبِينٗا ١٧٤ [النساء: ۱۷۰].

فلو تأمل الإنسان السيرة النبوية لوجدها من الناحية الدينية كاملة المنهج، فقد وضع النبي ﷺ أسساً للمنهج يتمثل في الآتي:

أولا: دعوة الأقارب من زوجة وأبناء، ومن وضعهم الله تحت يده بادئ ذي بدء؛ ولذلك نجد أن الرسول ﷺ عندما نزل عليه الوحي وأُمر بتبليغه في قوله تعالى: يَٰٓأَيُّهَا ٱلۡمُدَّثِّرُ قُمۡ فَأَنذِرۡ ٢ [المدثر: ۱، ۲].

بدأ بأهل بيته، فأسلمت خديجة رضوان الله عليها، بل كانت أول النساء إسلاماً على الإطلاق. ثم أسلم من الصبيان عليّ رضي الله عنه، ثم من الموالي زيد بن حارثة رضي الله عنه. وهذا هو المنهج السليم؛ لأنّ الله سبحانه وتعالى يقول: أَتَأۡمُرُونَ ٱلنَّاسَ بِٱلۡبِرِّ وَتَنسَوۡنَ أَنفُسَكُمۡ [البقرة: ۴۴]، وقوله سبحانه: يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قُوٓاْ أَنفُسَكُمۡ وَأَهۡلِيكُمۡ نَارٗا: [التحريم: ۶]. وقوله ﷺ: ((كلكم راع وكلكم مسؤول عن رعيته)).(۸)

يوضّح هذا الحديث أن كل إنسان مسئول عن رعيته ورعيته الأولى هي أهل بيته

فإذا أصلح الإنسان من نفسه ونجح فی دعوته لأهل بيته, انتقل إلى المراحل التالية وهى دعوته للأقارب وعامة الناس إلى الحق.

فهذا التدرج في مراحل الدعوة الاسلامية أمر طبعى, يجب الوقوف عنده, والعمل به, أسوة وقدوة للسيرة النبوية.

ثانيا: بذل الجهد وتحمل الأذى والصبر عليه.

خرج النبي ﷺ إلى ثقيف بالطائف بعد أن مكث في أهل مكة عشر سنين يدعوهم إلى الله عز وجل إلا أنهم رفضوا دعوته عليه الصلاة والسلام رفضا شديدا، فأصابه ﷺ من الهم والغم ما لا يعلمه إلا الله جراء رفضهم لدعوته ﷺ .ولكنه تحمل الاذى بالصبر. عن عروة عن عائشة رضي الله عنها زوج النبي ﷺ حدثته أنها قالت للنبي ﷺ: ((هل أتى عليك يوم كان أشدّ من يوم أحد؟ قال: ((لقد لقيت من قومك ما لقيت، وكان أشد ما لقيت منهم يوم العقبة إذ عرضت نفسي على ابن عبد ياليل بن عبد كُلال، فلم يُجبني إلى ما أردت، فانطلقتُ، وأنا مهموم على وجهي[۹]، فلم أستفق إلا وأنا بقرن الثعالب[۱۰]، فرفعت رأسي، فإذا أنا بسحابة قد أظلتني، فنظرت فإذا فيها جبريل، فنادى فقال: ((إن الله قد سمع قول قومك لك، وما ردّوا عليك، وقد بعث الله إليك مَلَك الجبال لتأمره بما شئت فيهم، فناداني ملك الجبال فسلم علي ثم قال: ((يا محمد، فقال: ذلك فيما شئت، إن شئت أن أطبق عليهم الأخشبين[۱۱]، فقال النبي ﷺ: ((بل أرجو أن يخرج الله مِن أصلابهم مَن يعبده وحده لا يشرك به شيئاً)).[۱۲]

فانظر إلى صبر النبي ﷺ وعفوه ﷺ وحلمه ﷺ وتحمله ﷺ الأذى، الدم يسيل من عقبيه ﷺ الشريفين، ويسأله ﷺ ملَك الجبال إن كان يريد أن يطبق عليهم الأخشبين يفعل، ومع ذلك يتضرع إلى الله سبحانه، ويدعوه أن يخرج مِنْ أصلابهم مَنْ يعبده وحده، لا يشرك به شيئاً! سبحان الله! ما أعظمها من دروس، أين دعاة اليوم من هذه الدروس العظيمة في الصبر والحلم والعفو والصفح؟

ثالثا: لما استقر النبي ﷺ في المدينة وبعد أن فرض الجهاد بدأ ﷺ يرسل السرايا والبعوث إلى القبائل العربية لنشر الإسلام تارة، ويخرج هو بنفسه الشريفة ﷺ تارة أخرى، فلم ينتقل إلى الرفيق الأعلى ﷺ حتى عمَّ الإسلام الجزيرة العربية كافة، بل وكان قد جهز جيشاً لغزو أطراف الشام قبيل انتقاله بالرفيق الأعلى بقيادة أسامة بن زيد رضي الله عنه تمهيداً لفتح الشام والعراق، لكنه انتقل ﷺ إلى الرفيق الأعلى قبل إنفاذ هذا الجيش.

فكان يجب استمرار هذه الدعوة لأن الإسلام دين عالمي ولا بد أن يَعُمَّ نفعه في جميع أنحاء العالم، قال جل شأنه: يَٰٓأَيُّهَا النَّاسُ إِنِّي رَسُولُ اللَّهِ إِلَيكُم جَمِيعًا [الأعراف :۱۵۸]. ولأنّه ﷺ خاتم النبيين، قال جل شأنه:مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٖ مِّن رِّجَالِكُم وَلَٰكِن رَّسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ [الأحزاب:۴۰]و هكذا استمر الرسول ﷺ فيها والخلفاء الراشدون بعد انتقاله ﷺ الى الرفيق الأعلى.

وهكذا وضعت السيرة النبوية منهجاً متكاملاً للمراحل الدعوية التي مرّ بها الرسول ﷺ، وانطلقت الجحافل الإسلامية تنشر الدين في ربوع المعمورة حتى بلغ أقاصي الدنيا شرقاً وغرباً، مما يؤكد عالمية هذا الدين الحنيف.

وعلينا تطبيقها اليوم وهذا لا يمكن إلا بالدعوة الحكيمة والموعظة الحسنة كما فعل الرسول ﷺ. فالعاملون في مجال الدعوة في عصرنا يجب عليهم الاقتداء بالنبي ﷺ في هذا المجال وفي العقيدة, والعبادات, والمعاملات والسلوكيات, حسب مقتضيات الظروف والبيئة المعاصرة.

وأما تنفيذ الجهاد حربا في عصرنا الراهن، فهذه مسئولية الحاكم, وليست مسئولية الداعي, فعليه تنبيه الحاكم اذا كانت هناك ضرورة ملحة. فلو رآه مناسبا يأخذ قرار الجهاد وينفذه بحكمه.

الأمر الثاني: السيرة النبوية مصدر للعلوم الشرعية

فعن طريق مواقف السيرة نعرف قضية الناسخ والمنسوخ من الآيات والأحاديث، وهي ناحية مهمة جدّاً يترتب عليها كثير من الأحكام الشرعية.(۳)

كما أن من معرفة نزول الآيات وأسبابها من الأمور المهمة التي بمعرفتها تعرف أحداث السيرة النبوية كتلك التي نزلت في غزوات النبي ﷺ.

أيضاً هناك بعض الأمور التي لا يستغني عن معرفتها أي طالب علم فضلاً عن العلماء، وذلك مثل المعجزات التي أجراها الله على يدي النبي الكريم فمعرفتها تزيد - ولا شك - في الإيمان، وكذا معرفة ما كابده من مشاق في سبيل تبليغ هذا الدين وصبره على ذلك.

تطبيق السيرة النبوية على الناحية الاجتماعية اليوم

التعامل مع المخالفين

سلك النبي ﷺ طريقة عجيبة في كيفية دعوة الناس إلى الإسلام، وستظل هذه

الطريقة نبراساً الى يوم الساعة لكل من أراد الاهتداء بهديه ﷺ إنها طريقة الصابرين فَٱصبِر إِنَّ وَعدَ ٱللَّهِ حَقّ وَلَا يَستَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ [الروم: ٦٠].

فسيرته النبي ﷺ مليئة بالمواقف العجيبة التي تَجَلَّى فيها حلمه ﷺ وصبره ﷺ على الأذى من أجل المحافظة على العلاقة الاجتماعية.

- فلما نزلت الآية الكريمة وَأَنذِر عَشِيرَتَكَ ٱلأَقرَبِينَ ٢١٤ [الشعراء: ٢١٤].

صعد النبي ﷺ على الصفا، فجعل ينادي: يا بني فهر، يا بني عدي – لبطون قريش – حتى اجتمعوا، فجعل الرَّجُل إذا لم يستطع أن يخرج أرسل رسولاً لينظر ما هو، فجاء أبو لهب، وقريش، فقال ﷺ: ((أرأيتكم لو أخبرتكم أنّ خيلاً بالوادي تريد أن تُغير عليكم أكنتم مصدِّقيّ؟ قالوا: نعم، ما جربنا عليك إلا صدقاً، قال: فإنّي نذير لكم بين يدي عذاب شديد، فقال ﷺ أبو لهب: تبّاً لك سائر اليوم، ألهذا جمعتنا؟ فنزلت: تَبَّت يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَآ أَغنَىٰ عَنهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢.[١٤] [المسد: ١ـ٢].

فانظر إلى موقف أبي لهب العجيب من النبي ﷺ يصدقه ﷺ أولاً، ثم يكذبه ﷺ ويسخر منه ومن مقولته، بل إن مجيئه ابتداء وتلبيته لنداء النبي ﷺ يدل على تصديقه، لكنه ما تمالك نفسه حتى نال من النبي الكريم ﷺ وهو الصادق المصدوق ﷺ.

والحق أن الأعجب من ذلك هو موقف النبي ﷺ من أبي لهب، فلم يرد عليه مقولته، لأنّه ﷺ يعلم يقيناً إنْ ردّ عليه فسينقسم الناس إلى قسمين، قسم مؤيد لأبي لهب مستنكرين رَدَّ النبي ﷺ بحكم موقع أبي لهب النَّسَبي، فهو عَمُّه، وعمُّ الرجل صنو أبيه[١٥]، وقد يَعُدُّ بعضهم ذلك الرد تطاولاً من النبي ﷺ على عمِّه، وقسم مؤيد للنبي ﷺ، وبهذا يفسد الهدف الذي من أجله كان الاجتماع، وهو دعوتهم إلى الله، وإقامة الحجة عليهم فآثر السكوت ﷺ، مفوضاً أمره إلى الله سبحانه وتعالى، فلم يكن النبي ﷺ فحاشاً ولا صخاباً، فتولى الباري جل وعلا الرد على أبي لهب، فأنزل في شأنه سورة تتلى إلى يوم القيامة تَبَّت يَدَآ أَبِي لَهَبٍ وَتَبَّ ١ مَآ أَغنَىٰ عَنهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصلَىٰ نَارا ذَاتَ لَهَبٍ ٣ الآيات [المسد: ١ـ٣].

نحن نحتاج اليوم ان نتبع هذا الموقف العظيم من سيرة النبى ﷺ وينبغى للداعى العصري قبل اقباله على دعوته أن يحوز ثقة الناس ليسمعوا كلامه ويصدقوه, وثبت أيضا من هذه الحادثة ان الداعى إلى الحق لا يلتفت الى كلام المخالفين ولا يضيع وقته فى مخالفتهم بل يفوض أمرهم الى الله.

- ولما خرج النبي ﷺ في السنة السابعة من الهجرة لفتح خيبر، وكانت معقل يهود

بعد إجلاء بني النضير، فلما وصلها، حاولت يهود قتله ﷺ بطريقة حقيرة ودنيئة تنم عن خبثهم ومكرهم، فعن أنس رضي الله عنه: ((أن امرأة[۱۶] يهودية أتت رسول الله ﷺ بشاة مسمومة فأكل منها، فجيء بها إلى رسول الله ﷺ، فسألها عن ذلك فقالت: أردت لأقتلك، قال ﷺ: ((ما كان الله ليسلطك على ذاك، قال: أو قال: ((عليّ)) قالوا: ألا نقتلها؟ قال ﷺ: ((لا)).[۱۷]

فانظر إلى سماحة نبى الإسلام، لم يأمر ﷺ بقتلها مع أنها اعترفت بجريمتها وظفر بها، ومع ذلك عفا عنها؛ لأنّ الإسلام دين السماحة والعفو.

- ولما خرج النبي ﷺ لفتح مكة في السنة الثامنة[۱۸] من الهجرة وبالتحديد في شهر رمضان[۱۹] كان عدد جيش المسلمين عشرة آلاف رجل، فرأت قريش أنه لا طاقة لها بقتال النبي ﷺ، وظنت أنه سيبطش بها، لكن النبي ﷺ عفا عن الجميع، فأسلم عدد كبير منهم، بل وعندما جاءت غنائم حنين، جعل ﷺ يعطي بعضهم عطاء جزلاً، فقد أعطى صفوان بن أمية مائة من النعم، ثم مائة، ثم مائة[۲۰]، وعندما غضبت الأنصار من ذلك، ذكر لهم الرسول ﷺ أنه إنما أعطاهم من أجل أنه يتألفهم لأنهم حديثو عهد بكفر.[۲۱]

إنّ القصد من ذكر تلك الأمثلة المتقدمة هو أنه ﷺ كان يحاول جاهداً تجنب المصادمة والمواجهة مع القبائل القرشية في المرحلة المكية، وحرص على تألفهم بعد الهجرة مروراً بقصة الحديبية[۲۲]، وانتهاءً بقصته معهم بعد حنين.

هكذا تتجلى سماحة رسول الإسلام في تألُّف الناس، والتودد إليهم، والصفح عن مسيئهم؛ لتقوية آصرة الروابط الاجتماعية. ويجب علينا ان نتحلى بهذه الصفات ونستنير من السيرة النبوية فى حياتنا الاجتماعية.

تعليمه ﷺ لبعض الصحابة وتربيته لهم

إذا كان النبي ﷺ حريصاً على تأليف قلوب الناس للدخول في الإسلام، فإنّه كان أشد حرصاً على تعليمهم الذين أسلموا منهم بالرفق واللين في حالة حدوث تصرفات من بعضهم بسبب جهلهم بتعاليم الإسلام أو لقربهم من العهد الجاهلي وعاداته السيئة، من ذلك:

- قصة الأعرابي.[۲۳]

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: ((بينما نحن في المسجد مع رسول الله ﷺ إذ جاء أعرابي فقام يتبوَّل في المسجد، فقال أصحاب رسول الله ﷺ، مَهْ مَهْ، قال: قال

رسول الله ﷺ: ((لا تزرموه[۲۴] دعوه[۲۵]، فتركوه حتى بال، ثم إن رسول الله ﷺ دعاه، فقال له: إنّ هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول، ولا القَذَر، إنّما هي لذكر الله عز وجل والصلاة وقراءة القرآن)) أو كما قال رسول الله ﷺ، قال: فأمر رجلاً من القوم فجاء بدلو من ماء فشنه عليه.[۲۶][۲۷]

فانظر إلى هذه الحادثة العجيبة، وكيف ساق الله هذا الأعرابي ليعمل ذلك العمل وكيف تعامل النبي ﷺ مع تلك الحادثة، ليتعلم الصحابة ومن بعدهم إلى يوم الدين الرفق واللين منه ﷺ.

- وهناك موقف آخر حدث لبعض الصحابة تجلت فيه حكمة النبي ﷺ وتربيته في معالجة الأمور،

عن معاوية بن الحكم السلمي رضي الله عنه قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله ﷺ: إذ عطس رجل من القوم فقلت: يرحمك الله، فرماني القوم بأبصارهم، فقلت: واثُكْل[۲۸] أمياه! ما شأنكم تنظرون إليّ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يُصَمِّتونني لكني سكتّ، فلما صلى رسول الله ﷺ فبأبي هو وأمي ما رأيت معلّماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كَهَرَني[۲۹]، ولا ضربني، ولا شتمني، قال: ((إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنّما هو التسبيح، والتكبير، وقراءة القرآن)) أو كما قال رسول الله ﷺ... الحديث.[۳۰]

هذه هي تعاليم الإسلام التي جاء بها الهادي البشير ﷺ وهكذا كان يعلم النبي ﷺ أصحابه، والتعليم بهذا الأسلوب النبوي العجيب هو المثمر، وهو الذي يجعل الناس يدخلون في دين الله أفواجاً، أما الغلظة والجفاء والسخرية والاستهزاء والازدراء. مما نراه اليوم في تعامل بعض الدعاة المتشددين الذين ينفرون الناس من الاسلام ويبعدونهم منه. فليست من الإسلام في شيء

وصدق الله سبحانه إذ يقول في حق نبيه ﷺ: وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ [القلم:۴]،

- معالجة المشكلات الاجتماعية

لا شكّ أن الروابط التي تجمع الناس تختلف من مجتمع لآخر، فهناك روابط مشتركة بين أمة وأخرى بسبب المصالح الدنيوية، فإذا فقدت تلك المصالح انتهت تلك الروابط، وقد تجتمع الروابط بسبب آصرة القربى أو العِرْقْ، اما رابطة العقيدة فهي الباقية بين المسلمين حتى الموت.

ولذلك قال سبحانه: إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخوَة [الحجرات: ١٠].

عندما قام النبي ﷺ بِحَلّ بعض المشكلات الاجتماعية التي واجهته في المدينة والتي تمثلت بتشريعه لنظام المؤاخاة. والأخوة الإيمانية، يولِّد شعوراً كبيراً في نفس المسلم، تجعله يعيش في حياة سعيدة طوال حياته، لأنّه فَقِه قول المصطفى ﷺ: ((لا يؤمن أحدكم حتى يحب لأخيه ما يحب لنفسه)).(٣١) ومنها:

فقد واجهت النبي ﷺ مشكلة كبيرة بعد هجرته إلى المدينة تتمثل في عدم وجود مأوى مناسب للمهاجرين بالإضافة إلى عدم تمكنهم، وقدرتهم على شراء بيوت يسكنونها لأن المهاجرين رضوان الله عليهم كانوا قد تركوا ثرواتهم في مكة ولم يتمكنوا من أخذها معهم بسبب مضايقة قريش لهم، فما كان منه ﷺ إلا أَنْ شرع نظام المؤاخاة بين المهاجرين والأنصار اثنين اثنين. وكان من ضمن بنود المؤاخاة أن يرث المهاجري الأنصاري دون ذوي رحمه(٣٢)، بالإضافة إلى المواساة في كل أوجه الخير والمحبة.

وقد ضرب الأنصار أروع الأمثلة في حبهم وتفانيهم في مواساة إخوانهم المهاجرين، من ذلك قصة سعد بن الربيع الأنصاري رضي الله عنه، عندما آخى الرسول ﷺ بينه وبين عبد الرحمن بن عوف وهو من المهاجرين، وكان سعد بن الربيع من أكثر الأنصار مالاً، قال أنس بن مالك رضي الله عنه: ((لما قدم علينا عبد الرحمن بن عوف رضي الله عنه وآخى النبي ﷺ بينه وبين سعد ابن الربيع وكان كثير المال، فقال سعد: قد علمت الأنصار أني من أكثرها مالاً، سأقسم مالي بيني وبينك شطرين، ولي امرأتان، فانظر أعجبهما إليك فأطلقها حتى إذا حلّت تزوجتها، فقال عبد الرحمن: بارك الله لك في أهلك...))(٣٣)، وفي رواية أنه قال: ((بارك الله لك في أهلك ومالك، أين سوقك؟ فدلوه على السوق...)).(٣٤)

وكان الهدف من هذه المؤاخاة إذهاب الوحشة والغربة التي أصابت المهاجرين بمفارقتهم للأهل والعشيرة، فلمّا عَزَّ الإسلام واجتمع الشمل وذهبت الوحشة، وعرفوا أسباب اكتساب الرزق، أبطل الله التوارث، وبقيت الأخوة في الله، وذلك بنزول قوله تعالى: وَأُوْلُواْ الأَرحَامِ بَعضُهُم أَولَىٰ بِبَعضٍ فِي كِتَٰبِ اللهِ إِنَّ اللهَ بِكُلِّ شَيءٍ عَلِيمُ [الأنفال: ٧٥].

وهكذا استطاع النبي ﷺ بفضل الله حل مشكلة من أكبر المشكلات الاجتماعية التي واجهته ﷺ في المدينة بعد الهجرة.

والحق أنّ موقف سعد بن الربيع مع عبد الرحمن بن عوف لا يصدقه العقل، ولو لم يرد في صحيح كتب السنة لما صدقه كثير من الناس، وذلك لما فيه من تضحيات تفوق

الخيال. هل يُعقل أن الإسلام والأخوة الإيمانية تجعل الشخص يبذل ماله وأهله لأخيه المسلم دون مقابل؟ نعم، يُعقل وموقف سعد خير شاهد.

وفي حياتنا المعاصرة ضرورة شديدة لتطبيق موقف الانصار مع المهاجرين، حيث نعرف كلنا أن بلدنا ايضا يواجه مشكلة كبيرة ,بأن هناك ملايين من الناس فيه الذين يعانون بعدم توفر الأكل والشرب والمأوى مناسب لهم بالإضافة إلى عدم تمكنهم، وقدرتهم على شراء بيوت يسكنونها وهناك حاجة ملحة في مجتمعنا بتقديم التضحيات المادية من أثرياء باكستان تطبيقا لسنة الرسول والانصار.

قد قرأت تقريرا اقتصاديا في سنة ۱۹۸۹ م ذكر فيه أنه لو ادّى اصحاب مصانع مدينة فيصل آباد زكاة اموالهم المفروضة بأمانة وتُوزع على الفقراء بالعدل لما بقي فقير في باكستان. فمابالكم اذا قام الأغنياء بالتضحيات لاخوانهم الفقراء مثل الانصار رضى الله عنهم.

تطبيق السيرة النبوية في النواحي الاقتصادية

هناك جوانب عديدة من الناحية الاقتصادية في السيرة النبوية يمكن تطبيقها في حياتنا المعاصرة منها:

هجرة المسلمين من مكة إلى المدينة أدت إلى زيادة الأعباء الاقتصادية الملقاة على عاتق أهل المدينة.[۳۵] إلا أنّ النبي ﷺ عالج مشاكل الاقتصادية بطرق حكيمة وبخطوات عديدة, منها:

نظام المؤاخاة الذي شرعه بين المهاجرين والأنصار كما سبق ذكره ولا داعي للتكرار.

وكذلك عندما نقض بنو النضير العهد وأجلاهم عن خيبر، كانت أموالهم خالصة لرسول الله ﷺ ؛ لأنّه مما لم يوجف عليه المسلمون بخيل ولا ركاب، فقسمها ﷺ بين المهاجرين، ولم يعط للأنصار شيئاً إلا أبا دجانة وسهل بن حُنيف؛ لأنّهما كانا من أشدّ الأنصار فقراً[۳۶]، وكان إعطاء تلك الأموال للمهاجرين عن طيب خاطر الأنصار، وبذلك تحسنت الظروف الاقتصادية عند المسلمين في المدينة، وتقاربت مستويات المعيشة بين الأنصار والمهاجرين.

وأيضا زراعة الأرض كانت من أهم الموارد الاقتصادية في العصر النبوي -أو على الأقل في بداية العصر النبوي- فقد كان النبي ﷺ حريصاً على استغلالها جيداً حتى يكثر الإنتاج ليسد حاجة الناس، فكان يجعل إصلاح الأرض إلى أهلها، ولذلك لما فتح الرسول ﷺ خيبر أقرهم على إصلاح الأرض وزراعتها على أن يكون ثمرها بينه وبين

أهلها بالتساوي.[۳۷] بهذاانتعش الاقتصاد في المدينة.وزاده انتعاشاً بإقامة الأسواق التجارية فيها ، فقد أمر النبي ﷺ بإقامة سوق مجاور للبقيع[۳۸]، ثم نقلها إلى غربي المسجد النبوي.[۳۹] وقد اهتم النبي ﷺ بأمر الأسواق وما يجري فيها من بيع وشراء، ومراقبة ذلك مراقبة شديدة، حتى لا تجلب إليه البضاعة الرديئة إلا إذا عُرِفت، وإذا عرف عن هذه الأسواق عدم التطفيف في الكيل، وعدم الغش والكذب والخداع أتاه الناس من كل ناحية.

وقد وضع النبي ﷺ ضوابط كثيرة للبيع والشراء والسلع المستوردة، كل ذلك مبثوث في كتب الفقه.

هذا، بالإضافة إلى ما كان يأتي المسلمين من غنائم وزكاة وخراج، حتى تحول المجتمع المدني خاصة في أواخر العهد النبوي إلى مجتمع يمكن أن يكون قد استغنى عن الآخرين بما عنده.

ومما يجدر ذكره أن المسلمين بالإضافة إلى بيعهم وشرائهم في أسواقهم الخاصة إلا أنهم كانوا يعرضون بضاعتهم في أسواق اليهود[۴۰]، كما أن اليهود أيضاً كانوا يشاركون المسلمين في أسواقهم بالبيع والشراء بالبضائع التي لا يجيدها غيرهم كأنواع الأسلحة وأنواع الحُلي، ولا سيما بنو قينقاع الذين اشتهروا بذلك.

ويستفاد من هذه المعاملات التجارية بين المسلمين واليهود، أن للمسلمين شراء ما يستفيدون منه من اليهود وغيرهم وبخاصة الأسلحة.

يتضح لنا من هذه القطوف من السيرة النبوية أنها منهج متكامل لجميع جوانب الحياة وفيها معالجة لكل مشاكلنا المعاصرة الأمنية والاجتماعية والسياسية والاقتصادية، ولو طبقناها تطبيقا دقيقا في حياتنا المعاصرة لصَلُحت أحوالنا وتقدمنا على غيرنا ،فلو لم يكن في أيدينا إلا سيرة النبي لكفتنا، لأن أقواله وأفعاله وإقراره منهج، وشرح لكتاب الله ,قال الله تعالى: لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا {الأحزاب: ۲۱}

وهكذا إذا قرأنا سيرته في جميع أمره نطبقها في حياتنا شبرا بشبر وذراعا بذراع سوى ما اختص به ﷺ فذاك له ﷺ خاصة, وقد بينه أهل العلم في كتبهم . وللاستزادة والاطلاع على سيرته ﷺ مفصلة نرجو قراءة كتب السيرة النبوية.

اللهم علمنا ما ينفعنا، وانفعنا بما علمتنا وزدنا علماً، وأرنا الحق حقاً وارزقنا اتباعه، وأرنا الباطل باطلاً وارزقنا اجتنابه، واجعلنا ممن يستمعون القول فيتبعون أحسنه، وأدخلنا برحمتك في عبادك الصالحين بجاه سيد المرسلين ورحمة للعلمين ﷺ.

حوالہ جات

۱۔ أخرجه البخاري رقم(۲۶۹۷) ومسلم رقم(۱۷۱۸).

۲۔ لسان العرب، مادة: سير، والقاموس المحيط، مادة: سير.

۳۔ دائرة المعارف الإسلامية (۱۵۲/۲).

۴۔ قواعد التحديث، للقاسمي ص (۳۵۔۳۸).

۵۔ السيرة النبوية لابن إسحاق، تهذيب ابن هشام، و السيرة النبوية لابن حزم (ت: ۴۵۶ھ)، والسيرة النبوية لعبد الغني المقدسي (ت: ۶۰۰ھ)، والسيرة النبوية لابن عساكر، المطبوعة ضمن تاريخه الشهير بتاريخ ابن عساكر (ت: ۵۷۱ھ) وغيرها

۶۔ البخاري، رقم (۶۹) عن أنس، ومسلم، رقم (۱۷۳۲) عن أبي موسى بلفظ ((بشروا ولا تنفروا...)).

۷۔ البخاري رقم (۷۰۵)، ومسلم، رقم (۴۶۵).

۸۔ صحيح البخاري، رقم (۸۹۳)، ومسلم رقم (۱۸۲۹).

۹۔ أي على الجهة المواجهة لي، الفتح الباري (۳۱۵/۶) تحت شرح حديث رقم (۳۲۳۱).

۱۰۔ قرن الثعالب، هو ميقات أهل نجد، ويقال له أيضاً قرن المنازل. المصدر السابق. وهو على طريق الطائف من مكة المار بنخلة اليمانية، يبعد عن مكة ثمانين كيلاً، ومن الطائف ثلاثة وخمسين كيلاً. المعالم الأثيرة في السنة النبوية، لمحمد شراب.

۱۱۔ المراد بالأخشبين: جبلا مكة، أبو قبيس، والذي يقابله وكأنه قُعَيقِعَان، وسميا بذلك لصلابتهما وغلظ حجارتهما، والمراد بإطباقهما: أن يلتقيا على من بمكة. الفتح (۳۱۶/۶)، تحت شرح حديث رقم (۳۲۳۱).

۱۲۔ البخاري مع الفتح (۳۱۶/۱۶) حديث رقم (۳۲۳۱).

۱۳۔ مصادر السيرة النبوية وتقويمها، ص (۶۲۔۶۳) بتصرف.

۱۴۔ البخاري رقم (۴۷۷۰)، ومسلم رقم (۲۰۴) واللفظ للبخاري.

۱۵۔ جزء من حديث، أخرجه مسلم، رقم (۹۸۳) وغيره.

۱۶۔ اسمها: زينب بنت الحارث، أخي مرحب، وهي امرأة سلاَّم بن مِشْكم، ذكر ذلك ابن إسحاق (ابن هشام) (۳۳۷/۲)، وابن سعد في الطبقات (۲۰۱/۲).

۱۷۔ صحيح مسلم، رقم (۲۱۹۰) وقد ذكر عبد الرزاق في المصنف، رقم (۱۹۸۱۴) عن الزهري أنها أسلمت، وكذلك ذكر الحافظ ابن حجر في الفتح (۴۹۷/۷۔۴۹۸) نقلاً عن مغازي سليمان التيمي أنها أسلمت أيضاً.

۱۸۔ صحيح البخاري، رقم (۴۲۷۶).

۱۹۔ المصدر السابق.

۲۰۔ كصفوان بن أمية، وعكرمة بن أبي جهل، انظر قصة هروبهما، الموطأ رقم(۴۴)، وابن إسحاق (ابن هشام)(۲/۴۱۷۔۴۱۸)، وفيه ضعف لكن قال ابن عبد البر في التمهيد (۱۲/۱۹): ((وشهرة هذا الحديث أقوى من إسناده «إن شاء الله.

۲۱۔ انظر: صحيح مسلم، رقم(۲۳۱۳).

۲۲۔ اعندما قال لهم: ((يا ويح قريش، لقد أكلتهم الحرب، ماذا عليهم لو خلّوا بيني وبين سائر العرب، فإن هم أصابوني كان الذي أرادوا، وإن أظهرني الله عليهم دخلوا في الإسلام وافرين، وإن لم يفعلوا قاتلوا وبهم قوة ...)) الحديثلسيرة النبوية لابن إسحاق (۲/۳۰۸۔۳۰۹) بسند جيد.

۲۳۔ الذي قدم من البادية ممتطياً بعيره حابساً بوله حتى قدم المدينة، بل وحتى دخل مسجد رسول الله، والنبي الكريم عليه الصلاة والسلام جالس مع أصحابه إذ بهذا الأعرابي ينيخ بعيره، ويتوجّه إلى ناحية من نواحي مسجد رسول الله، وأمام أعين الناس يرفع ثوبه ويجلس ليتخلص من بوله في مسجد رسول الله، إنه منظر يثير الدهشة، سلك طريقاً طويلة لم يجد مكاناً يتبول فيه إلا مسجد رسول الله!!

لذلك أثار فعله هذا حفيظة أصحاب رسول الله فقاموا ليمنعوه وينهروه، ولكن الرجل استمر في بوله غير عابئ بتلك الصرخات التي تعالت عليه من جوانب المسجد تستنكر هذا الفعل، إلا أن النبي الكريم والمربي الحكيم أنقذ الموقف بقوله للصحابة: ((دعوه)). وهناك اختلاف في اسم هذا الأعرابي، فقيل: ذو الخويصرة، وقيل: عيينة بن حصن، وقيل: الأقرع بن حابس، انظر: الفتح(۱/۳۲۳۔۳۲۴).

۲۴۔ لا تُزْرموه: بضم التاء وإسكان الزاي، وبعدها راء، أي: لا تقطعوا عليه بوله. النووي مع مسلم (۳/۱۹۰).

۲۵۔ قال النووي: ((قال العلماء: كان قوله: دعوه، لمصلحتين: إحداهما: أنه لو قطع عليه بوله تضرر، وأصل التنجيس قد حصل، فكان احتمال زيادته أولى من إيقاع الضرر به، والثانية: أن التنجيس قد حصل في جزء يسير من المسجد، فلو أقاموه في أثناء بوله لتنجس ثيابه وبدنه ومواضع كثيرة من المسجد، والله أعلم «ا.هـ. النووي على مسلم(۳/۱۹۱).

۲۶۔ فَشَنَّه عليه: أي صَبَّه. المصدر السابق.

۲۷۔ مسلم، رقم(۶۲۱)، والبخاري مختصراً رقم(۲۲۰).

۲۸۔ الثُّكْل: بضم الثاء وإسكان الكاف وبفتحها: فقدان المرأة ولدها. شرح النووي على مسلم (۵/۲۰).

۲۹۔ ما كَهَرَني: أي ما انتهرني. المصدر السابق.

۳۰۔ صحيح مسلم بشرح النووي,وقال الإمام النووي في شرحه للحديث:...وفيه التخلق

بخلقه في الرفق بالجاهل، وحسن تعليمه واللطف به، وتقريب الصواب إلى فهمه (۲۰/۵).

۳۱۔ البخاري، رقم الحديث (۱۳)، ومسلم رقم الحديث (۴۵).

۳۲۔ البخاري، رقم (۳۷۸۱).

۳۳۔ البخاري، رقم (۳۷۸۱).

۳۴۔ البخاري، رقم (۳۷۸۰).

۳۵۔ في تاريخ الحضارة العربية الإسلامية جـ (۲)، الحياة الاقتصادية في صدر الإسلام، محمد ضيف الله بطاينة ص (۱۰).

۳۶۔ انظر: الطبقات الكبرى لابن سعد (۳/۴۷۱۔۴۷۲).

۳۷۔ ابن إسحاق (ابن هشام) (۲/۳۵۶۔۳۵۷) بسند مرسل.

۳۸۔ وفاء الوفاء للسمهودي (۲/۷۴۷۔۷۴۸).

۳۹۔ البلاذري، فتوح البلدان (۱/۱۵).

۴۰۔ البخاري، رقم (۲۰۴۸)، وابن هشام (۲/۴۷۔۴۸).